المعفو ذكره ❊ بنو امية هبوا طال نومكم ❊ ان الخليفة يعقوب بن داوود ❊
❊ ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ❊ خليفة الله بين الزق والعود ❊
وكان ابو حارثة النهدي يتقلد خزن بيوت الاموال فلما خلت من المال دخل الى المهدي ومعه مفاتيح وقال له اذا كنت قد انفقت جميع الاموال فما معنى هذه المفاتيح مر من يقبضها مني فقال له المهدي دعها عندك فان الاموال تاتيك ثم سير في استخراجات الاموال فوردت عليه في مدة يسيرة وقصر في النفقات قليلا فتوفرت الاموال وتشاغل ابو حارثة في قبض ما ورد وتصحيحه فلم يصل الى المهدي في ثلثة ايام فقال المهدي ما فعل هذا الاعرابي الاحمق فخبر بالسبب فاحضره وعاتبه وقال له ما اخرك عنا فقال وردت الاموال فقال يا احمق توهمت ان الاموال لا تاتينا فقال يا امير المومنين ان الحادث لو حدث واحتيج له الى المال لم يصلح الا به لم ننتظر حتى توجه في حمل الاموال وروي ان المهدي حج في بعض السنين فمر بميل وعليه كتابة فوقف وقراه فاذا هو ❊ لله درك يا مهدي من رجل ❊ لولا اتخاذك يعقوب بن داوود ❊
فقال لمن معه اكتب تحته على رغم انف الكاتب لهذا وتعسا لجده فلما انصرف وقف على الميل فلما لم يقف عليه الا لشيء وقد علق بقلبه من ذلك الشعر فكان ذلك لانه ما وقع بيعقوب من القبل وكثرت الاقوال في يعقوب ووجد اعداوه مقالا فقالوا فيه وذكروا خروجه مع ابراهيم بن عبد الله العلوي وعرفه بعض خدمه انه سمعه يقول بني هذا الرجل متنزها انفق عليه خمسين الف الف درهم من اموال المسلمين وكان المهدي قد بنى عيسى باذ وابادها المهدي امرا فقال له يعقوب هذا يا امير المومنين السرف فقال له ويلك وهل يحسن السرف الا باهل الشرف وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه وسال المهدي الاقالة وهو يمتنع ثم ان المهدي اراد يمتحنه في ميله الى العلوية فدعاه يوما وهو في مجلس فرشه موردة وعليه ثياب موردة وعلى راسه جارية عليها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الاوراد فقال له يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قال على غاية الحسن فمتع الله امير المومنين به فقال له جميع ما فيه لك وهذه الجارية ليتم سرورك وقد امرت لك بمائة الف درهم فدعا له فقال المهدي لي اليك حاجة فقام يعقوب قائما وقال يا امير المومنين ما هذا القول الا لموجدة وانا استعيذ بالله من سخطك فقال احب ان تضمن لي قضاها فقال السمع والطاعة فقال له والله فقال والله ثلاثا فقال له ضع يدك على راسي واحلف به ففعل ذلك فلما استوثق منه قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية احب ان تكفيني مؤونته وتريحني منه فخذه اليك وحوله اليه وحول الجارية وما كان في المجلس والمال فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس بالقرب منه ليصل اليها ووجه فاحضر العلوي فوجده لبيبا فهما فقال له ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وانا رجل من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يعقوب يا هذا افيك خير فقال ان فعلت خيرا معي شكرت ودعوت لك فقال له خذ هذا المال وخذ اي طريق شئت فقال طريق كذا وكذا امره لي فقال له امض مصاحبا وسمعت الجارية الكلام كله فوجهت مع بعض خدمها به وقالت قل له هذا فعل الذي اثرته على نفسك بي وهذا جزاوك منه فوجه المهدي

فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ثم وجه الى يعقوب فاحضره فلما راه قال ما حال الرجل قال قد اراحك الله منه قال مات قال نعم قال والله قال والله قال فضع يدك على راسي فوضع يده على راسه وحلف له فقال يا غلام اخرج لنا من في هذا البيت ففتح بابه عن العلوي والمال بعينه فبقي يعقوب متحيرا وامتنع من الكلام عليه فما دري ما يقول فقال له المهدي لقد حل دمك ولو اثرت اراقته لارقته ولكن احبسوه في المطبق فحبس وامر ان يطوى عنه خبره وعن كل احد فاقام سنين وشهورا في ايام المهدي وجميع ايام الهادي موسى ابن المهدي وخمس سنين وشهورا من ايام هرون الرشيد ثم ذكر يحيى بن خالد امره وشفع فيه فامر باخراجه فخرج وقد ذهب بصره فاحسن اليه الرشيد ورد ماله وخيره المقام حيث يريد واختار مكة فاقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة ولما اطلق يعقوب سال عن جماعة من اخوانه واخبر بموتهم فقال

❊ لكل اناس مقبر بفنائهم ❊ فهم ينقصون والقبور تزيد ❊
❊ هم جيرة الاحياء اما محلهم ❊ فدان واما الملتقى فبعيد ❊

قلت هذان البيتان في المراثي في كتاب الحماسة قلت هكذا ذكر تاريخ وفاته ابو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتاب تاريخ الوزراء وذكر غيره ان يعقوب بن داود اخبر ان المهدي حبسه في بئر وبنى عليها قبة قال فمكثت فيها خمس عشرة سنة وكان يدلى لي كل يوم رغيف خبز وكوز ماء واوذن باوقات الصلوات فلما كان راس ثلاث عشرة سنة اتى ات في منامي وقال

❊ حنى على يوسف رب فاخرجه ❊ من قعر جب وبيت حوله غمم ❊

قال فحمدت الله تعالى وقلت اتاني الفرج ثم مكثت حولا لا ارى شيئا فلما كان راس الحول الثاني اتاني ذلك الاتي فانشدني ❊

❊ عسى فرج ياتي به الله انه ❊ له كل يوم في خليقته امر ❊

قال ثم اقمت حولا اخر لا ارى شيئا ثم اتاني ذلك الاتي بعد الحول فقال

❊ عسى الكرب الذي امسيت فيه ❊ يكون وراءه فرج قريب ❊
❊ فيامن خائف ويفك عان ❊ وياتي اهله النائي الغريب ❊

قال فلما اصبحت نوديت فظننت اني اوذن بالصلوات فدلي لي حبل اسود وقيل لي اشدد به وسطك فلما قابلت الضوء غشي بصري فانطلقوا بي فادخلت على هرون الرشيد فقيل لي سلم على امير المومنين فقلت السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته المهدي فقال لست به فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته الهادي فقال لست به فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الرشيد فقلت الرشيد فقال يا يعقوب بن داوود والله ما شفع فيك الي احد غير اني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك اياي على عنقك فرثيت لك من المحل الذي كنت فيه فاخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير ويلاعبه ولما حبس المهدي يعقوب رتب في الوزارة ابا جعفر الفيض بن ابي صالح وكان من غلمان عبد الله بن المقفع وكان شديد الكبر وكان ابوه نصرانيا وفيه يقول الشاعر

❊ يا حاجبي عن حاجتي طالبا ❊ احوجك الله الى الفيض ❊
❊ ذاك الذي بابك معروفه ❊ كانما يمشي على البيض ❊

وطهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الالف نون وكانت ولادة ابي عبد الله معاوية الاشعري في سنة سبعين ومائة وتوفي في سنة تسع وستين وقيل مات في الوقت الذي مات

Copyright © King Saud University